مؤتمر "طرق مبتكرة لمواجهة التطرف العنفي"
بيت المستقبل ومؤسسة كونراد أديناور
الجمعة، 11 كانون الأول، 2015
فندق الكومودور – بيروت

الجلسة الثانية: " فهم التطرف من منظور نفسي"

جون بل

مدير برنامج الشرق الأوسط ومنطقة المتوسط في مركز توليدو في مدريد

اثبت اعتماد نظرية المعطيات البشرية (أي ارتباط سلوك الإنسان بمدى تلبية حاجاته الأساسية) في محاولة فهم ظاهرة التطرف العنفي وتاليا وضع مبادارات ناجحة لمواجهته جدواه، إذ أنه في حال عدم تلبية حاجات الإنسان سيقوم بردة فعل، وإذا كانت عملية القمع هذه كبيرة، سيكون رد الفعل كبيرا أيضا. وإذا ما طبقنا هذا المنطق على الواقع السياسي، نجد أن الحكومات في العالم العربي مثلا لا تلبي حاجات مواطنيها، وبالتالي علينا أن لا نتعجب من وجود رد فعل قد يصل إلى حد السلوك الإرهابي. وهذه النظرة للأمور ليست تبسيطية غذ أنها على بساطتها، تعبر عن الحقيقة: فالحركات المتطرفة تلبي بعضا من حاجات الإنسان وهي بارعة جدا في جذب الناس إليها ودفعهم للقيام بما تريد. إن التيارات الجماعية، كظاهرة التطرف العنفي التي نشهدها اليوم، تولد في ظروف محددة حين تكون البنية الاجتماعية مفككة، الأمر الذي ينطبق على العديد من الدول العربية وعلى فئة المهمشين في المجتمعات الغربية.

لا يوجد صورة نمطية واحدة تحدد شخصية المتطرف وظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة تساهم في نشأة الإرهاب. الأسباب التي غالبا ما تعطى لتفسير نشأة الإرهاب والتطرف العنفي كالفقر والجهل والتهميش الاجتماعي والاستبداد السياسي لا تنطبق على جميع الحالات. وأظهرت بعض الدراسات أن 48.5% من الجهاديين المجندين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حاصلون على شهادات جامعية و44% منهم مهندسون. وترتفع نسبة الحاصلين على شهادات عليا بين المقاتلين الأجانب إلى 59%. وكشف تقرير للبنك الدولي لم ينشر عدم وجود علاقة بين ارتفاع نسبة فرص العمل وانخفاض وتيرة العنف. وهناك اختلاف في الدوافع بين المجندين المحليين والأجانب وبين البيئات الشرقية والغربية. وثلاثة أرباع الذين جندهم تنظيم داعش في الغرب كمقاتلين أجانب، تم تجنيدهم عبر أصدقاء أو أفراد من عائلاتهم، وهم يقعون في براثن التطرف بعد أن يطردوا من المساجد ويجندون في مطاعم الوجبات السريعة وملاعب الرياضة. ومعظم الأجانب الذين انضموا إلى داعش فعلوا ذلك إراديا، وتراوحت دوافعهم بين أوهام البطولة والسعي وراء المغامرة والرومنسية وحب السلطة والبحث عن الشعور بالإنتماء، إلى جانب السعي للإكتفاء الروحي. أما دوافع المجندين المحليين فتتراوح بين الحوكمة غير الرشيدة والسعي للانتقام والمال وإنهاء إحتلال أجنبي ودحر العدو، وهم يعتبرون أن الإرهاب وسيلتهم الوحيدة لتحقيق ما يسعون إليه.

وعن سبل مكافحة التطرف العنفي والوقاية منه، تبدأ الخطوة الأولى بإدراك ماهية هذه الظاهرة، تليها محاولة معالجة التفكك الاجتماعي الذي يعتبر بيئة خصبة لنشأة التيارات المتشددة، إضافة إلى أهمية تقديم قضايا بديلة ملهمة للشباب تحل مكان القضايا الانتحارية التي تستخدمها الحركات المتطرفة لجذبهم.

ولا بدّ من التوضيح إلى أن اعتماد سياسة رصد الإرهابيين، وبخاصة في المجتمعات الأوروبية، غير قابلة للتطبيق لجهة تطلبها الألاف من رجال الأجهزة الأمنية، كما أن اللجوء إلى معاقبة الإرهابيين يجعلهم يغرقون أكثر في أوهامهم.

من المهم الإشارة إلى أنه بين عامي 1968 و2006، هزم فقط 7% من الجماعات الإرهابية، وعلى الغرب تقديم الدعم المالي والتقني والاجتماعي لحلفائه في الشرق الأوسط الذين تمكنوا من إبقاء داعش خارج حدودهم.